مجلة العدوي للسانيات العرفنية و تعليمية اللغات

Issn: 2773/ 3300

http://www.asjp.cirect.dz/en/presentation Revue/804

المجلد:03 العدد: 01 (ماي 2023) ص 157/ 168

نشأة المصطلح النحوي في كتب الدارسين بين الأصل اللغوي والاستعمال الوظيفي من خلال الكتاب لـ "سيبويه "

the emergence of the grammatical term in the books of scholars between linguistic origin and functional use (Through the el kiteb of "Sibawayh)

*حميدات الجمعي**

جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف2 (الجزائر)

HAMIDATDJEMAI1972@GMAIL.COM

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/03/31
تاريخ القبول:
2023/04./12

الكلمات المفتاحية:

- ✓ المصطلح، النحوي،
- ✓ الدرس اللغوي، الماهية،
- ✓ الكوفة، البصرة

الملخص:

لما كان "المصطلح" مفتاح العلوم الذي نستشف حضوره في شتى العمليات المعرفية على اختلاف أصولها وتشعب فروعها، فإنّ الدّرس اللغوي ومنذ عصور خلت -وإلى يومنا هذا-قد شهد تطورا كثيرا للمعارف اللّغوية جعلت من الدرس النحوي علما يضبط كلامنا بفضل مصطلحات وضعت تحقيقا للسهولة في الأداء، والتيسير في الاستيعاب.

وعلى اعتبار أنّ لكل علم مصطلحاتٍ لا يمكن الولوج إليه إلا بها، إذ هي رموز لغوية تحمل بين طياتها مفاهيم علمية مختلفة تميزه عن غيره من العلوم، وتخصه بذاته دون غيره، فإنّ المُطّلع على التراث النحوي القديم يجد تنوعا كبيرا في استعمال المصطلحات النحوية بين المدرستين الكوفية والبصرية، إذ أصبح لكل اتجاه نحويّ مصطلحاته الخاصة، فالمصطلح البصري لما يحمله من أراء علماء البصرة يختلف عن المصطلح الكوفي في بعض الخصائص والسمات والمفاهيم وذلك بسبب اختلاف منظورهم.

Abstract :

since the "term" is the key to the sciences, whose presence we realize in various cognitive processes of its different fundamentals and the ramifications of its branches, the linguistic lesson since ages ago - until this day - has witnessed a great development of linguistic knowledge that has made the grammatical lesson a science that adjusts our speech thanks

Article info

Received
31/ 03 / 2023
Accepted
12 / 04 /2023

Keywords:

- ✓ *Term, Grammatical , Linguistic Lesson ,*

* المؤلف المرسل

to the terms developed to achieve ease of performance and facilitation in comprehension.
Considering that each science has terms in which we cannot access it without them as they are linguistic symbols that carry different scientific concepts that distinguish it from other sciences, those who are familiar with the ancient grammatical heritage find a great diversity in the use of grammatical terms in the Sibawayh school through what he employed in his book, making these terms an essential reference in refining the Arabic tongue even if the difference is present in some characteristics, features and concepts between a grammatical term, another morphological and an another phonetic one as can be seen in this book.

Morphological Term, Fundamentals of Grammar

. مقدمة:

زخر التراث العربي باعتباره ميدانا خصبا لمختلف دراسات علوم اللسان، والتي لقيت اهتماما كبيرا عند علمائنا قديما وحديثا يأتي في مقدمتها "علم النحو وعلم الصرف" وما له علاقة بتقويم اللسان وحفظه من الزلل واللحن، مع الإشارة أنّ هذه العلوم ارتبطت في بدايتها الأولى بالعلوم الإسلامية وما له علاقة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مما نتج عنه مؤلفاتٌ تعكس جهود الأوائل في خدمة الحرف العربي وتوجهاته وتطلعاته.

لقد أبلى العلماء الأوائل في العلوم العربية حتى وصلت إلينا كاملا مكتملة خاصة حين حددوا لكل علم أبوابه وأقسامه وضبطوا رموزه ومفاهيمه، فقام صرحه وأُحكم بناؤه، وبات من الضروري أن تتضح أحكامه حتى يلج الدارسون بابه، فأُحكمت مصطلحاته باعتبارها مفاتيح لهذه العلوم.

لقد شهد الدرس اللغوي ومنذ عصور خلت إلى يومنا هذا تطورا كبيرا للمعارف اللغوية، والتي حظيت بوجه من الاهتمام فاتّسع نطاق البحث فيها، لاسيما الدرس النحوي باعتباره الأنسب لهذه المعارف اللغوية العربية، فوصل إلينا بهذه المصطلحات التي وضعت تخفيفا للسهولة في الأداء والتيسير في الاستيعاب، كما تُسهم في ترسيخ القاعدة النحوية، ولكونهم اعتنوا عناية كبيرة بالمصطلح بعد أن تشعبت العلوم وكثرت الفنون، فكان لا بد للعرب أن يضبطوا ما وضعوه من مصطلحات دقيقة ضبطا سليما، لذا بذل المتقدمون جهودا كبيرة في وضع المصطلح، وكان الأساس فيه أن يتفق اثنان أو أكثر، وأن يستعمل في علم أو فنٍ بعينه، ليكون واضح الدلالة مؤديا المعنى الذي يقصده....(حامد صادق قنيني، 2000، ص: 55).

لقد تناول العرب في الجاهلية وصدر الإسلام اللغة سليقة وسجية، ولم يكونوا في حاجة إلى قواعد تضبط ألسنتهم أو يتعرفون بها على الأساليب اللغوية الفصيحة، بل كان اعتمادهم في نطق اللغة واستعمالاتها على الفطرة السليمة، حيث يشبُّ الناشئ منهم على سجية ويطبع بها لسانه، فتجود قريحته بالتركيب السليم والعبارة الصحيحة في أعلى مستويات الفصاحة دون الحاجة إلى تعلمها، ويرى الدكتور "عبد الرحمان حاج صالح: "إنّ الغاية الأولى والأساسية التي كان يقصدها الواضعون للنحو هو أن يكون لغير المتقنين للعربية من أسماء العرب والمسلمين وغيرهم مجموعةٌ من الأصول اللغوية والضوابط النحوية يرجعون إليها كطريقة لاكتساب الملكة، بل كمرجع من الضوابط لم يسبق

وأن جمع وأَلِّف من ذي قبل، فكان من الضروري جدا أن تكون للعربية مدونة من القواعد المحررة تستخرج من كلام العرب، وهذا العمل لا يمكن أن يكون إلا علميا.....(عبد الرحمان حاج صالح، 2016، ص: 273).

فما يؤكده الباحثون يفضي إلى أنّ النحو نشأ نشأة علمية لا تعليمية، والدليل على ذلك أنّ العصر الذي بدأ فيه هذا العلم بالتشكل حتى وصل إلى مرحلة النضج والاكتمال على يد "الخليل وسيبويه "هو عصر لم يُحتج فيه إلى تعلم العربية وتعليمها، لأنه يقع ضمن الملكة اللسانية التي يُحتج بلغتها، في الوقت الذي صارت تسمى في ما بعده "بعصور الاحتجاج اللغوي"، وهو ما تؤكده الدكتورة "خديجة الحديثي" بقولها:".... لم يكن العرب في جاهليتهم وفي جزيرتهم بحاجة إلى من يلقّنهم أصول لغتهم وقواعدها، لأنهم كانوا يتكلمون بما تمليه عليهم سليقتهم وطبيعتهم وبيئتهم ومحيطهم.....(خديجة الحديثي، 1974،ص07)

كما أنّ لتعلم النحو في العصور اللاحقة وتقدّم الزمن وبُعده على النماذج اللغوية الفصيحة حاجة دعت إليها الضرورة الناتجة عن المستجدات في حياة الأمة الإسلامية في هذه الفترة، ولذلك يقول محمد ربيع: " ... وكان لا بد من ظهور نموذج نحويٍّ مناسب ... وكان لأمر من أحد خِيارين: إما أن يظهر نموذج جديد ينبني على أسس مختلفة، وإما أن يتبدل النموذج القديم ويتحور، ليَفي في نهاية المطاف بما يحتاج إليه في الحقل المعرفي في العصر المتأخر، والذي حصل في الحقل النحويّ هو الخيار الثاني كما هو واضح، إذ طوَّرَ النحاة في مؤلفاتهم وما خلفه لهم "الخليل وسيبويه"، وأدخلوا فيه بالتدريج ما يُخرجه من إطاره العلمي الصرف إلى إطار يمتزج فيه البعد العلمي بالبعد التعليمي.....(محمد ربيع الغامدي، 2007، ص: 129).

لينشأ النحو العربي فنًا تمرّنت من خلاله ألسنةُ الناطقين بالعربية على طرائقَ للأداء تمكنت من طبائعهم، وتحول إلى علمٍ انتظمت فيه قوانين وقواعد مجردة تُدرس دراسة مستقلة، وما أكثر ما يستحقه هذا العلم من إعادة نظر... وسير وفق أسس وضوابط تحدّد سمات وأدوات تعليمية ... وعلى اعتبار أنّ لكل علم مفتاحا لا يتم الولوج إليه إلا به فمفاتيح العلوم مصطلحاتها، وهي السبيل الأقصر للتواصل بين العلماء، كونها رموزا لغوية تحمل في طياتها مفاهيم علمية مختلفة، إذ أنّ لكل علم مصطلحاته الخاصة تميزه عن غيره من العلوم وتخصه بذاته دون غيره، ولأهمية المصطلح في الدرس اللغوي الحديث أصبح له علم قائم بذاته(علم المصطلح) بضوابطه الخاصة به، والمصطلح جزء من المنهج العلمي، ولا يستقيم منهج إلا إذا قام على مصطلحات دقيقة تؤدي الحقائق العلمية أداء صادقا.....(حامد صادق قنيني،....، ص 53).

.....حيث أنّه يلزم وضع منهج وطريقة لتكييف المصطلح النحوي ومعرفة جعله تعريفا أو مصطلحا تعليميا، يمكن أن يحقق ملكة علمية عند متعلميه، وأن يكون له الأثر في ترسيخ القاعدة النحوية، لذلك كان من الضروري الوقوف على مفهوم المصطلح بصفة عامة والمصطلح النحوي بصفة خاصة، لأنّ تعريف المصطلحات وتحديدها ركيزة أساسية من ركائز تشييد أي علم، فينبغي أن يصاغ مفهومه صياغة دقيقة لا لُبس فيها، فلا ينساق إلى الذهن إلا المعنى المعهود من المصطلح، فما تعريف المصطلح النحوي في اللغة والاصطلاح؟ وما مدى تناول هذا المصطلح عند علماء العربية من خلال مؤلفاتهم بصفة عامة (الخليل ابن أحمد)، وسيبويه من خلال الكتاب بصفة خاصة ؟؟؟؟

أولا: المصطلح النحوي بين الأصل اللغوي والاستعمال الوظيفي:

1ـــ تعريف المصطلح بين اللغة والاصطلاح :

نشأة المصطلح النحوي في كتب الدارسين بين الأصل اللغوي والاستعمال الوظيفي من خلال الكتاب لـ "سيبويه "

1ـ1ـ **التعريف اللغوي :** نجد في المعاجم العربية أنّ أصل كلمة "مصطلح" مأخوذة من الجذر الثلاثي "صلح" من مادة (ص ل ح)، وفي لسان العرب لابن منظور "أنّ الصلاح ضد الفساد، والصلح السلم، وقد اصطلحوا واصّلحوا وتصالحوا واصّالحوا..."(ابن منظور،.....) ، أما المعجم الوسيط فيضيف "صلح، صلاح، وصلوحا: زال عنه الفساد، أصلح القوم: زال ما بينهم من خلاف وعلى الأمر تعارفوا عليه واتفقوا....."(ابراهيم مصطفى واخرون، ....). وفي تعريف آخر نجد "الزبيدي" يعرفه في معجمه فيقول: الصلاح: الفساد وأصلحه ضد أفسده وقد أصلح الشيء بعد فساده: أقامه، يقال وقع بينهما صُلحَ تصالح القوم بينهما وهو السلم بكسر السين المهملة وفتحها، وقوم مصلُوحُ: متصالحون، كأنهم وصفوا بالمصدر، والإصلاح : اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص..."(عوض أحمد القوزي، 1981، ص: 39)، وكلّ هذه التعريفات لكلمة " مصطلح " في اللغة العربية ومع تتبع هذه التعريفات في المعجمات العربية التي تم ذكرها أو التي لم يتم تذكر تعطي مفهوما واحدا لمادة (ص ل ح) الذي لا يتجاوز مفهوم السلم والمصالحة والاتفاق والمواضعة وكلّ ما هو نقيض للفساد والخلاف...

1ـ 2ـ التعريف الاصطلاحي :. يُعرف "الجرجاني" المصطلح على النحو الآتي: " هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضعه الأول لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيره..." (محمود فهمي حجازي، ....، ص: 13)، وتعني الاصطلاحية "اتفاق جماعة على أمر مخصوص وهذا الاتفاق والتواطؤ أو التصالح إن تم بين جماعة المحدثين تفتق عن مصطلح في الحديث، وإن قام بين جماعة الفقهاء على مسائل في الفقه نتج عنه مصطلح في الفقه، وإن كان بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحا نحويا، وقل مثل ذلك في سائر العلوم.." (عوض أحمد القوزي، 1981، ص: 39)، والاصطلاح عبارة عن "اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما، وقيل : الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر، لبيان المواد، وقيل : الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين..." (الشريف الجرجاني، ....، ص: 4).

فالاصطلاح هو اتفاق جماعة من المتخصصين على وضع اللفظ المناسب للمعني، فكل هذه التعريفات تصب في مصب واحد وهو اتفاق جماعة من المتخصصين على وضع اللفظ المناسب لمعنى معين، وأنّ كل علم يختصّ بمصطلحاته الخاصة فهو اتفاق لغوي بين طائفة مخصوصة على أمر مخصوص في ميدانه الخاص.

1ـ 3 ـ **تعريف النحو**: أشرنا إلى مفهوم المصطلح بصفة عامة، وبالنسبة إلى النحو :(المصطلح النحوي)

ـ النحو لغة: يشير ابن المنظور في لسان العرب أنّ العرب تستعمل النحو :" إعراب الكلام العربي أي: نحوت نحوا، والنحو بمعنى القصد والطريق، وتكون ظرفا ... وقولك قصدت قصدا ونحاه ينحوه وينحاه نحوا وانتحاه ونحو العربية... (ابن مظور، ....)،وقد بلغت معاني النحو في اللغة سبعة معانٍ، جمعها الإمام الداودي فقال(محمد بن مصطفى الحضرمي، 1987 ص:10):

للنحو سبع معان قد أتت لغة جمعتها ضمن بيت مفـــرد كمُلا

قصـــــد ومثل ومقدار وناحية نوع وبعض وحرف فأحفظ المثل

ـ النحو اصطلاحا: تعدّدت استعمالات مصطلح النحو في أوساط اللغويين والنحاة، وتختلف عما هي عليه الآن، فالمتتبع لاستعمالاتها في التراث العربي يجد أنّه يُعبر عنها بمصطلحات مختلفة، فتارة يعبر عنه "بالعربية" "نحو قول أبي عبيدة معمر ابن المثنى: أخذ أبو الأسود عن علي ابن أبي طالب عليه السلام العربية....." (الصيرفي، د ت،ص12).

وقول "ابن سلام الجمحي" في طبقات الفحول:" وكان أول من أسّس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي"(ابن سلام، 1974، ص: 12)، والمقصود بالعربية علم هذه اللغة أي قواعدها وأسسها، والتي يُعرف بها مصطلح النحو.، وعُبّر عن النحو بمصطلح الكلام، فأبو الأسود الدؤلي عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي قال:" هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام، ودخلوا فيه وصاروا من أهله، فلو علّمناهم الكلام..... (الصيرفي، دت، ص: 18)، ويقصد بالكلام النطق السليم للغة وفق قواعدها النحوية والصرفية، لاجتناب الوقوع في اللحن في قراءة القرآن وصونه من التأويلات الخاطئة الناتجة عن الخطأ في إعراب كلمات القرآن.

وقد عرّف "ابن جني" النحو بقوله:" هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والإضافة والنسب والتركيب....وغير ذلك..... ليلتحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا....." (ابن جني، دت، ص04.)، وقال الأزهري : "هو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلام إعرابا وبناء....." (خالد الأزهري، 1925، ص:14)، حيث حصر الأزهري النحو في معرفة أبنية الكلمات وإعرابها، وجعله مستقلا عن الموضوعات الصرفية.

وقد خاض" ابن خلدون" في مسألة النحو فعرّفه قائلا:" إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيُعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر،فلولاه لجهل الناس أصل الإفادة، فاستنبطوا من مجال كلامهم قوانين لتلك الملكة تشبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه منها بالأشباه مثل : الفاعل مرفوع،والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو..... (ابن خلدون، 1984، ص:731).

2ـ نشأة المصطلح النحوي وتطوره (اختصارا)

لم يعرف العرب من أمر المصطلحات النحوية شيئا قبل وضع قواعد اللغة ونحوها، وان كانوا ينطقون اللغة ويتفهمونها بدقة، ويؤكد ذلك ما يفهم من قول الأصمعي: قلت لإعرابيّ: أتهمز إسرائيل؟؟؟؟ قال: إني إذن لرجلُ سوء، قلت أفتجر فلسطين؟ قال: أني إذن لرجل قوي، فهذا الإعرابي لم يفهم من الهمز إلا العيب والشتم، لذا أبى أن يكون عيّابا، لأنّ ذلك من سمات سوء الخلق، ولم يفهم من الجر إلا السحب.. أمّا الهمز بمعنى النطق بالهمزة، والجر بمعنى الإتيان بالحركة المخصصة فهو أبعد ما يكون في ذهنه وتفكيره....." (عبد الرحمان السيد، 1968، ص: 324) أي أنه لم يعرف المصطلح النحوي بمعناه واستعماله الاصطلاحي.

ونخلص من هذا إلى أنّ العربي استعمل المصطلحات النحوية على الرغم من جهله بخصوصيتها، وهذا الأمر يجعلنا نقول بعدم إمكانية تحديد تاريخ نشأة كلّ مصطلح من المصطلحات النحوية تحديدا دقيقا، لأن هذا التأريخ يحيط به الاضطراب وعدم ثبات المصطلح، لكن الواضح أنّ هذه المصطلحات قد سايرت نشأة النحو..... (جعفر عباينة، 1984، ص:157)، لكنها ما لبثت لمضي الزمن وطول العهد ومتابعة الدراسة أن وقفت على قدميها، وأخذت أسماء ثابتة وألفاظا خاصة لازمتها وعايشت معها..... (عبد الرحمان السيد، ....،ص324).

*وهذا يحي ابن يعمر قد استعمل المصطلحات النحوية كما يستعملها بحق، فما دار بينه وبين الحجاج الذي قال له: أتسمعني ألحن على المنبر؟ قال تقول: الأمير أفصح من ذلك، فألحّ عليه فقال حقا، قال أياً،.قال في القرآن، قال الحجاج: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال في قوله عز وجل:((قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم.... أحبَّ إليكم من الله ورسوله)) التوبة، فتقرأ أحبَ" بالرفع، والوجهُ أن تقرأ بالنصب لأنها خبر لكان، قال لا جرم، لا سُمع لي لحنٌ لي أبدا، فألحقه بخرسان..... (أبو بكر الزبيدي، 1984، ص:28).

وقد جرت على لسان الخليل بن أحمد الفراهيدي مصطلحات نحوية كثيرة، وفي ذلك يقول "جعفر عباينة:" "لا نعدو الصواب إذا قلنا إنّ المصطلحات متعددة التي يمتلئ بها كتاب سيبويه ترد كلها تقريبا على لسان الخليل، ولكن لا نعرف بالضبط ما وضعه النحاة قبله من هذه المصطلحات، وما وضع نفسه منها..... (جعفر عباينة، ....، ص:160).

في الوقت الذي كان فيه سيبويه يرسم حدود مدرسة كان لها أنصار وتلاميذ، كان علي بن حمزة الكسائي يرسم حدود مدرسة أخرى لها أنصار ومؤيدون كذلك، وليس غريبا أن تسلك كل مدرسة منهجا وسبيلا وأن يكون لكل فريق مصطلحات خاصة تخضع في الغالب لمزايا منهجه، والمصطلحات التي اصطنعتها المدرستان ثلاث طوائف... طائفة كوفية خالصة لم بعرفها البصربون.... وطائفة بصرية خالصة لم يعرفها الكوفيون، وطائفة كوفية بصرية، إلا أنّ لها عند الكوفيين أسماء، وعند البصريين أسماء..... (مهدي المخزوني، 1958، ص: 303.).

البصرة	الكوفة	البصرة	الكوفة
نعت	الصفة	العطف	النسق
البدل	الترجمة	الضمير والمضمر	الكناية والمكنى
الظرف	الصفة أو المحل	اسم الفاعل	الفعل الدائم
حروف الجر	حروف الخفض	اسم الفعل	الفعل
ضمير الشأن	ضمير المجهول	التمييز	المفسر

وما هذه الطوائف من المصطلحات إلاّ دليل على أنّ المصطلحات النحوية لم تكن قد أخذت وضعا مستقرا، بل كان العلماء يطلقونها ويقصدون بها الإفهام والإفادة، فإذا حققوا غرضهم وهدفهم دون التقيد باستعمالها لم يجدوا مانعا من تركها، وما سبق ذكره من مصطلحات بصرية وكوفية نماذج للتطور الذي حدث في المصطلحات، ذلك التطور الذي ينحصر بسبب خصوصية المدرستين في استبدال مصطلح بأخر، ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل ترى تطورا في مصطلحات في المدرسة نفسها، فهذا سيبويه البصري المذهب لا يلتزم التعبير المصطلحي المتعارف بيننا الآن، بل يذكره مرة، ويُعبرّ عنه ويصفه مرة أخرى.....

3ـ المصطلح النحوي في كتب الدارسين:

كثيرا ما يتبارى النحويون في ابتكار الوسائل المختلفة التي يصوغون بها تعريفات المصطلحات وتوظيفها ضمن مصنفاتهم، فمن واحد يلجأ إلى المثال ومن ثان يلجأ إلى الماهية، وثالث ينحو نحو الوصف مصوّرا إياه تصويرا دقيقا، قد يصلح "للحوسبة اللغوية "، ومن رابع يجدّ في جمع خصائصه وما يمتاز به عن غيره .

3ـ1: المصطلح النحوي عند الخليل بن أحمد :

إنّ المصطلحات النحوية لم تقف عند الأوائل وصفا واستعمالا ودراسة، بل نمت وتطورت على أيدي من جاء بعدهم واستفاد مما طرحوه،ونظَّروا له، والمتتبع لمصطلحات الخليل بن احمد في مضامينها . يرى أنه قد بدا يتعامل مع المصطلحات النحوية واللغوية بنحو من الاقتدار والتمكن، فقد أخرج المصطلحات من مدلولها اللغوي وطوّرها في سبيل تخصيصها، فينقل المصطلح من المعنى العام إلى المعنى الخاص، وقد نهج مسالك جديدة في علم العربية فهو بذلك المؤسس الحقيقي لعلم النحو الذي وافانا به سيبويه في كتابه.. " (ابن خلدون، ....، ص: 544).

فأغلب المصطلحات الخليلية وردت إلينا في كتاب سيبويه، ولا نعدو الصواب إذا قلنا إنّ المصطلحات المتعددة التي يمتلئ بها كتاب سيبويه ترِد كلها على لسان الخليل، ولكنا لا نعرف بالضبط ما وضعه النحاة قبله، من هذه المصطلحات، وما وضعه بنفسه منها ..." (جعفر عباينة، ....، ص : 160).

ـ لقد اهتم الخليل بفكرة التعليل فكان يرى أنّ العرب لم ينطقوا كلامهم اعتباطا، بل راعوا في عقولهم عللا له وإن لم يصرحوا بها، وجعل همه أن يستخرج علل العرب التي بنوا عليها أحكام لفظهم، فقد كثرت تعليلاته، وبدا ذلك جليا في كتاب سيبويه، وقد نضجت هذه الفكرة مدعّمة بالأحكام والتفرعات، واكتسبت سمة النظرية، فهي الأساس الذي بنى عليه سيبويه حديثه في مباحث النحو ..." (أبو بكر الزبيدي، ....، ص: 47).

ـــ تُعد المصطلحات الواردة على لسان الخليل الأكثر شيوعا واستخداما وهي كالتالي : الفاعل، النكرة، المبتدأ، الخبر، الاسم، الفعل، المدح، الذم، الرفع، الإعراب، النصب، النداء الأمر، النهي الإضمار....." (احمد حفيفي، 1995، ص : 85).

ـ فالخليل استفاد من تراكم المصطلحات التي أتى بها من سبقه، واستفاد من ملاحظاتهم ومناهج البحث التي اعتمدوا عليها، بالإضافة إلى عقله الوقاد وثقافته الموسوعية والمتخصصة، والقدرة على التنظير وإعادة التركيب وتجديد المفاهيم واستنباط القواعد، **وعلى يده نشأ علم النحو المعروف الآن، والذي وصل إلينا عن طريق تلميذه سيبويه " بعد أن استرسل في مسائل وخرَّج لها، وطور في أقوال الخليل، ومدّ القياس على كلام العرب، وجمع لنا خلاصة جهده في "الكتاب" .**

3ـ2. المصطلح النحوي في الكتاب لسيبويه :

يُعد كتاب سيبويه أهم أثرٍ نحويٍّ وصل إلينا، فهو ثمرة من ثمار عمل الخليل، لأن المادة النحوية التي يتكون منها بلغة النضج والاكتمال والغزارة والشمول، ما يؤكد على أنها كانت نتيجة مخاض طويل ومجهودات أجيال متعاقبة يُمثل سيبويه أهم حلقاتها....." (عبد القادر المهيري، 1993، ص:165).

فقد تطورت المصطلحات النحوية على يد سيبويه ونضجت واستقرت مدلولاتها على ما هي عليه في نحونا المعاصر، والحديث عن المصطلحات النحوية في الكتاب يعني الحديث عن النحو الفعلي والحقيقي الذي بين أيدينا اليوم ..." (احمد امين، 1993 ص: 290)، واضعين في الاعتبار مجهودات أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه في إرساء اللبنات الأولى مع ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبي عمر بن العلاء فمدّوا القياس وتقدموا بالدرس النحوي واللغوي خطوات كبيرة ...فشهد النحو على أيديهم تطورا عظيما بذكر مسائله، وبعض أبوابه وفروعه...ولنا في كتاب سيبويه كمصنف جَمع مسائل النحو العربي كافة، وما كان للمتأخرين من فضل سوى تحديد مقاصده وتبيين حدوده، وهو كتاب لا يحتاج مُهتمُّه إلى غيره، كما قال بذلك المبرد:**بل إنّ المازني لما قرأه واطّلع على كنوزه أيقن أنّه أحاط بالنحو العربي**

إحاطة السوار بالمعصم، فقال :من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي....." (الزبيدي، ....، ص: 50).

3ـ 3ـــ نظرات في المصطلح النحوي من خلال " الكتاب" :

إنّ الحديث عن المصطلحات النحوية عند سيبويه يعني الحديث عن المصطلحات العربية التي ضمّها الكتاب، إذ لم تكن صياغتها بالدقة التي أصبحت عليها صياغة مفهوم المصطلحات عند النحاة الذين جاؤوا بعده، ولم تكن بالمستوى الذي وصلت إليه بعد نضوج علم النحو ..وهذا ليس عيبا أو انتقاصا من صاحب **"قرآن النحو"** بل هي السُّنة في تطوير العلوم لا يكاد يشذُّ عنها واحد منها...إذ تبدأ صورتها في الاتضاح مع مرور الزمن وتطور الفكر، حتى تتبلور بالصورة التي يكون فيها موضعه عند أهل الصناعة ....وقبل الولوج إلى محور حديثنا عن المصطلح النحوي في الكتاب نجزم في القول أنّ سيبويه :

ـ يلجأ إلى "الأسلوب الوصفي" في تعريفه المصطلح النحوي، مما دفع الدكتور "أحمد سليمان ياقوت" إلى القول: "....والذي نظنه(اعتقده)أنّ سيبويه كان مُدركا المنهج الوصفي لا من حيث اسمه، أو من حيث هو اصطلاح "terme" ، بل إنّه كان مدركا إياه من حيث كنهه وملامحه وسماته، وآية ذلك تكراره لهذا المعنى في أكثر من موضع في الكتاب..... .." (احمد سليمان ياقوت، 1979، ص: 44).

ـ لقد رسم سيبويه لنفسه منهجا وهو يُقدِّم مصطلحاته النحوية، وألزم نفسه أن يجعلها قريبة المنال سهلة واضحة، لذلك لم يبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي إذا أراد من اللفظ معنى اصطلاحيا، ومن أجل ذلك قدّم مصطلحاته في شكلين مختلفين:

1ـ الوصـــف :

كثيرا ما كان سيبويه يركن إلى الوصف في تعريف المصطلح النحوي، عندما يكون مصطلح مما يصعب أن يتبين له، أو يتعذر أن توضع معايير ثابتة تضبطه، فهناك مجموعة كبيرة من المصطلحات النحوية لم يصفه سيبويه وصفا نهائيا، فوصفها ومثَّل لها، وهذا يرجع إلى عدم وضوح المصطلح المعبر عنه وضوحا كليا يجعله يطمئن إليه: ومن أمثلة ذلك:

- وصفه للتراكيب غالبا، كقوله: "هذا باب ما لا يعمل من المعروف إلا مضمرا، وذلك لأنهم بدؤوا بالإضمار، لأنهم شرطوا التفسير، وذلك نووا، فجرى ذلك في كلامهم هكذا، ...كما جرت "إن" بمنزلة الفعل الذي يقدم مفعوله قبل فاعله، فلزم هذه الطريقة في كلامهم ....." (سيبويه، 1977، ص: 175)، والواضح انه لم يذكر مصطلحا وإنما يصف تركيبا عربيا، ألا وهو تركيب جملة المدح، مبينا أنّ فاعل نعم وبئس لا يجتمع مع تمييزه (نعم خلقًا الكرم)،بل لا بد من إضمار الفاعل إذا ذكر التمييز، (نعم الخلقُ خلقا الكرم).
- ـ من الوصف: "هذا باب ما يعمل عمل الفعل، ولم يجر مجرى الفعل، ولم يتمكن تمكنه، وذلك قولك: ما أحسن عبدَ الله "(سيبويه، 1977، ص: 183) فهو يحاول أن يصف لنا تركيبا سائدا في كلام العرب، وهو أسلوب التعجب من غير أن يذكر اسمه أو صيغتيه: ما أفعله ,,,,وأفعل به القياستين ,

- اسم الآلة: هذا مصطلح وُضع بعد سيبويه، لما وصفه سيبويه بقوله: "هذا باب ما عالجتُ به.." (سيبويه، الكتاب، 1977، ص: 249) ولو وقف عند هذه الصورة لجاءت قاصرة في غرضه، ولكنه فسّرها بقوله: ".....وكل شيء يعالج به، فهو مكسور الأول كانت فيه هاء التأنيث أو لم تكن ....وذلك قولك : مِحلب، مِنجل، مِكسحة، ومِسلة المِصفى، والمِخرز ....وقد يجيء على مِفعال نحو : مِقراض، مِفتاح، ومِصباح....." (سيبويه، 1977، ص: 249).

- المركب المزجي: وضّح سيبويه معنى التركيب بضم شيء إلى آخر، وهذا معنى لغوي لم يخرجه إلى المعنى الاصطلاحي، فقال: "باب الإضافة إلى الاسمين اللذين ضم أحدهما إلى الأخر وجُعلا اسما واحدا.." (سيبويه، الكتاب، 1977، ص:87) وضرب على ذلك الأمثلة التالية: "ومن ذلك: خمسة عشر، ومعد يكرب، في قول من لم يُضف...، فإذا أضفت قلت: معديٌّ وخميسيٌّ...ويكرر هذا الوصف في باب: التصغير فيقول: "هذا باب تحقير كل اسم كان من شيئين ضُم أحدهما إلى الأخر، فجعلا بمنزلة اسم واحد.."(سيبويه، 1977، ص: 134) ، ثم عيّن المراد بقوله :وذلك قولك في حضرموت حُضيرموت، وبعلبك بُعيلبك..... (سيبويه، 1977، ص: 134).

- الاشتغال :هذا المصطلح لم يعبر به لا سيبويه ولا الخليل ولا عيسى بن عمر، والذي مهّد الطريق لظهور هذا المصطلح ولبعض القراءات...لكنّ سيبويه صوره ووصفه حتى أنّ القارئ يشك أنه سيصرح به،، فهو يقول مثلا: "هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قُدّم أو أُخّر...وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم ..." (سيبويه، 1977، ص: 47)، ومن هذه العبارة تدرك أنّ سيبويه يدير الكلام على الإسناد، ولكنه يريد نوعا معينا منه، ولكي يصل إلى ما يريده عمد للوصف بما هو معلوم من أمر الإسناد، نحو: (ضرب زيد عمرا)، فزيد هنا مسند إليه وهو أول شغل به الفعل، ولكن إذا اختلف الإسناد أو كما يقول سيبويه :بنيت الفعل على الاسم، وقلت: زيدٌ ضربته "رفعت زيدا بالابتداء موازيا لقوله تعالى: "وأما ثمود فهديناهم..."فصلت 17 قائلا: وإنما حسن أن يُبنى الفعل على الاسم، حيث كان معملا في الضمير المضمر، وشغلته به، ولولا ذلك لم يتبين لأنك لم تشغله بشيء، وان شئت قلت: زيدا ضربته..." (سيبويه، 1977، ص: 47)، ومع البناء عل ذلك فالنصب في الآية حسن حسن ."كما نجده في ثنايا كتب إعراب القرآن.

- أفعال المدح والذم :لم يجعل سيبويه على نعم وبئس مباشرة عندما عقد لها بابا "باب ما لا يعمل من المعروف إلاّ مُضمرا، لكنه استطاع بالطريقة الوصفية إضافة إلى ما سبق ذكره التي اتبعها أن يوقر في المفهوم أنّه بصدد نعم وبئس، حتى ا ذا جاء إلى معمولها قال: "وما انتصب في هذا الباب فإنّه ينتصب كانتصاب ما انتصب في باب "حسبك به"، وذلك قولهم "نعم رجلا عبد الله" كأنك قلت :حسبك به رجلاً عبد الله، لأنّ المعنى واحد، ومثل ذلك قولك : ربّه رجلا " في أنّه عمل في ما بعده كما عمل "ويحه" في ما بعده لا في المعنى، وحسبك به رجلا في العمل وفي المعنى.." (سيبويه، 1977، ص: 300)، ولما استقام له الأمر وأدرك أنّ

قارئه أدرك مراده ..راح يفصل في القول في أحكام نعم وما يحوز وما لا يجوز في معموليها من :تقديم وتأخير وإظهار وإضمار وحذف وجواز تأنيثهما وتذكيرهما ....."(سيبويه، 1977، ص: 302):

هذه نماذج من المصطلحات التي اكتفى بوصفها وعمد إلى توضيحها بالأمثلة الكثيرة أحيانا وبمقابلتها بالنقيض أحيانا أخرى، ومثال ذلك كثير من المصطلحات النحوية في الكتاب منها على سبيل المثال لا الحصر:

1ـــ الإعراب :

هو أحد المصطلحات التي كانت شائعة منذ القرن الأول للهجرة، فقد ذكر السيوطي رواية عن عمر بن الخطاب أنّه استعمل كلمة الإعراب بمعنى النحو، عندما قال :" وليُعلّم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب .."أي فليعلمهم سبيل العرب في الكلام والإبانة، وقال مالك بن أنس :الإعراب حُليُّ اللسان، فلا تمنعوا ألسنتكم حُليّها.."قال عمرو: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه...، إذ يتضح لنا من هذا أنّ عمر يعني بالإعراب هو طريقة الإبانة في الإعراب عن الحاجة، وهو تغيير أواخر الكلم، وهو عند سيبويه: "ما أفْرَد له بابا في مجاري الكلم في العربية..... "(سيبويه، 1977، ص: 13)، وهو ما يقابل مصطلح الإعراب عند المتأخرين.

2ـــ الكلـــم :

....فهو ما تكونت منه العربية اسم وفعل وحرف ...حيث أفرد سيبويه في الكتاب بابا تحت عنوان: "هذا باب ما الكلم في العربية"، والكلم اسم جنس جامع وهو اسم للذات، كما وضّحه سيبويه بقوله: "ما الكلم؟؟؟؟؟،اسم وفعل وحرف جاء بمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم :رجل وفرس وحائط، أما الأول فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع....،وما هو كائن ولم ينقطع ..وأما ما جاء بمعنى، وليس باسم ولا فعل نحو "ثم وسوف وواو القسم، ولام الإضافة ونحوها..... (سيبويه، 1977، ص: 13)، فعندما عرّف سيبويه الاسم عرفه بالتمثيل عليه لبيان أهميته ووَصفَه، واختياره لهذه الأسماء لم يكن عشوائيا بل هو اختيار قصدي (رجل من بني الإنسان، فرس من الحيوان، حائط من الجمادات.....

3ـــ النصب والرفع والجر: تُعدّ من أوّل المصطلحات الناضجة في الكتاب عند سيبويه وعند علماء النحو، والاستئناس حاصل في قصة يحي بن يعمر لما بيّن للحجاج مواطن لحنه في سورة التوبة كما مرّ بنا...أترفع أحب وهو منصوب ؟؟؟؟وقال له: أتقرؤها: أحبُ...بالرفع.. والوجه أن تُقرا بالنصب على خبر كان....." (الزبيدي، ....، ص:24)، والمصطلح موجود عند سيبويه في قوله: والنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد .." (سيبويه، ....، ص:13) وعن الجر يقول سيبويه: " ومن الصفة قولك: ما يحسن بالرجل مثلِك أن تفعل كذا، وما يحسن بالرجل غيرٍ منك أن يفعل كذا "وهذا مصطلح ناضج في الكتاب، والجر والكسر فيه ضرب واحد.." (سيبويه، ....، ص:13)، وهو مصطلح النصب وقد أقرّه الدرس اللغوي الحديث فالجر يقابله الكسر عنده....

2ـــ: التعبير عن الفكرة الواحدة بأكثر من مصطلح :

هذا الأسلوب في التعبير عن المصطلح النحوي في الكتاب قد بدا جليا واضح في الكتاب،. فسيبويه هنا لا يكاد يستقر على مصطلح واحد، وكأنما أعطته اللغةُ زمام أمرها يختار من ألفاظها ما يشاء، فيوظّفه في استعمال مصطلح أو مسألة نحوية لا يلبث أن يصير علما على إحدى مسائله،،ومن كثرتها يكون اختياره موقفا لأنّه يقوم على الذوق

السليم والمعرفة العميقة بأسرار العربية وأساليب العرب، في حين يُعدّ تنقله من تعبير إلى آخر في رسم الصورة الكلية لأيّ مسالة من مسائل النحو دليلا قاطعا على أنّ النحو لا يزال في مرحلة التكوين ، وإلا لاستقرت مصطلحاته، ومن أمثلة ذلك ما نوجزه مختصرا في مصطلحات تناثر ذكرها في الكتاب في أكثر من موضع، مما يعكس تعددا مصطلحيا ينم عن ثروة لغوية جمة، ومن ذلك:

الفتح	الوضع	التوكيد	التخصيص
اللام الفارقة	لام التوكيد	الضمير	الإضمار
حروف الإضافة	ياء المتكلم وحروف القسم	نائب الفاعل	المفعول الذي لم يتعد إليه الفعل
الحشو	الصلة	الإضراب	الانقطاع
المفعول المطلق	الحدث، الحدثان	العاقل وغير العاقل	الآدمي، الحيوان والموات
عطف النسق	الشركة	المضاف والمضاف إليه	الجار والمجرور

ويمكن أن نلخّص القول في منهج سيبويه وهو يعرض مصطلحاته:

- ـ أحيانا يصف المصطلح وصفا ويشرحه بالأمثلة دون تسمية.
- ـ أحيانا أخرى يسمي المصطلح عرضا، ولكنه رأى أنّ هذا المصطلح لا يكفي لنقل فكرة في هذا الباب، فيلجا بعد التسمية إلى الوصف والتمثيل أو التعبير عن الفكرة بأكثر من مصطلح.
- ـ وأحيانا يعبر عن بعض المصطلحات بالتعبير الناضج المستقر الذي وصل إلينا ولا نزال نستخدمه إلى اليوم .

لنخلص في نهاية هذه الإطلالة إلى أنّ الحديث عن المصطلحات النحوية في الكتاب يعني الحديث عن النحو الفعلي والحقيقي الذي بين أيدينا، واضعين في الاعتبار مجهودات أبي الأسود الدؤلي وتلامذته في إرساء اللبنات الأساسية في وضع الدرس النحوي، لينال هذا الكتاب ومصطلحاته عناية من العرب والتابعين المحدثين الذين تثقفوا بالعربية فدرسوه من كل جوانبه، وأبوابه، وحددوا منهجه وطريقة طرق بابه، للكشف عما للمصطلحات من الدقة والعمق على جميع مستويات الدرس اللغوي صوتيا وصرفيا ونحويا...ودلاليا، وما له من أثر في استقامة النحو وانتشار مسمياته وتعريفاته .

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: صلح القاهرة: دار الدعوة
- أحمد أمين، (1993)، ضحى الإسلام، ط الأولى، بيروت
- أحمد حفيفي، (1995)، المنظومة النحوية المنسوبة للخليل، مصر: دار الكتب
- أحمد سليمان ياقوت، (1979)، الكتاب بين المعيارية والوصفية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- أبو بكر الزبيدي، (1984)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف.

- جعفر عباينة، (1984)، مكانة الخليل ابن أحمد في الخليل العربي، ط1. عمان: دار الفكر،
- ابن جني، (دت)، الخصائص، تح، محمد بن علي النجار، ط2. دار الكتب المصرية،
- حامد صادق قنيني، (2000)، المعاجم والمصطلحات، دار السعودية للنشر والتوزيع.
- خالد الأزهري، (1925)، شرح التصريح على التوضيح، ط3، مصر: المطبعة الأزهرية.
- خديجة الحديثي، (1974)، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، رقم37، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت.
- ابن خلدون، (1984)، المقدمة، د ط، الدار التونسية للنشر.
- ابن سلام الجمحي، (1974)، طبقات فحول الشعراء، تح، محمد محمود شاكر، جدة: دار المدني.
- سيبويه، (1977)، الكتاب، تح محمد عبد السلام هارون، الطبعة الثانية. القاهرة.
- الشريف الجرجاني، (د ت)، التعريفات، ت إبراهيم البياري، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الصيرفي، (د ت)، أخبار النحويين البصريين، تح، عبد المنعم خفاجي، دط، مصر: مطبعة مصطفى البابي.
- عبد الرحمان السيد، (1968)، مدرسة البصرة النحوية، القاهرة: دار المعارف.
- عبد الرحمان حاج صالح، (2016)، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب.
- عبد القادر المهيري، (1993)، نظرات في التراث اللغوي العربي، بيروت: دار الغرب الإسلامي
- عوض أحمد القوزي، (1981)، المصطلح النحوي، المملكة العربية السعودية،
- محمد بن مصطفى الحضرمي، (1987)، حاشية الحضرمي على شرح ابن عقيل، دار الفكر.
- محمد ربيع الغامدي، (2007)، النماذج العلمية في العلوم النموذج النحوي مثالا، مركز البحث العلمي والتقني لتطور اللغة العربية بالجزائر.
- محمود فهمي حجازي، (د ت)، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، القاهرة: دار غريب.
- ابن منظور، (د ت)، لسان العرب، مادة: ص ل ح، بيروت: دار صادر.
- مهدي المخزومي، (1958)، مدرسة الكوفة النحوية، القاهرة: مطبعة الحلبي.